

الفصل الحادى عشر

الوحدة الايطالية

كانت إيطاليا فى أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر عبارة عن مملكة جغرافى لا يرتبط بأى كيان أو وحدة سياسية، فقد كانت مقسمة إلى عشر و
تحت من تفكك الامبراطورية الرومانية فى القرون الوسطى، وكان معظم الولايات فى
فى الوسط فى قبضة النمسا أما فى الجنوب فقد كانت ولاية نابلى وصقلية تدخل فى
ولايات المستقلة، وقد خضعت جميع هذه الولايات لنظام استبدادى يعتمد على تسلسل
اجتماعية.

ولقد كانت هناك عدة معوقات تحول دون قيام وحدة إيطاليا وأهم هذه المع-

وقوف الباباوات فى روما كالعقبة الكأداء التى تعوق قيام مثل هذه الوحدة وبخاصة
كانوا يرون فى ذلك تقليصا لنفوذهم الزمنى وحرمانا لهم من سلطانهم السياسى،
كانوا يستغلون فرصة هذا التفكك فى تثبيت نفوذهم، وقد شارك الباباوية فى ذلك
أمراء إيطاليا وحكامها حيث رأوا ان الاتحاد يفقدهم مالهم من نفوذ وسلطان.^(١)
الاختلافات الواضحة فى الجنس والعادات فى انحاء شبه الجزيرة الإيطالية.

رغبة النمساويين فى الإبقاء على تسمية فينا عام ١٨١٥ التى سبقت الإلفين

الاستئثار بها دون المدن الأخرى، وإن قيام الوحدة قد يحول دون الاستئثار بهذه الثروات.

وظل الحال على هذا المنوال حتى جاء بونابرت بحملته على إيطاليا أثناء تولي حكومة الإدارة زمام الأمور في فرنسا وأرسل ندائه المشهور للايطاليين بأن حملته جاءت لتحطيم هذه الأغلال.

ونتيجة لانتصارات بونابرت الحاسمة على النمساويين في إيطاليا اعترفت النمسا في صلح "كامبو فورميو" بقيام جمهورية شمال إيطاليا التي اطلق عليها جمهورية الألب الشمالية، كما نجح بونابرت في كسر قوة الجيش البابوي وأجبره على التنازل عن بعض الولايات الباباوية.

وهكذا نجح بونابرت في إيقاظ الشعور القومي لدى الايطاليين، وإن لم يكن رحيماً معهم طول الوقت فمع انه صادر كل ما وقع تحت أيدي جنوده، ووضع يده على أموال المصارف، وهدم الارضية الاجتماعية والثروة في إيطاليا فإن حررهم عن الحكم النمساوي لبلادهم، كما دعاهم إلى إقامة دولتهم العصرية، وظهر بينهم في صورة مجدد الأمانى في بعث الوحدة الإيطالية، والراغب في إيجاد امة في إيطاليا.

وقد نهج نابليون في إيطاليا مناهج متناقضة هدفها الأول أن تكون خاضعة لسيطرته، ومن هنا رغب في تطبيق المبادئ التالية:-

١- تأسيس مملكة في إيطاليا خاصة بشخصه أكثر من كونها مملكة فرنسية، على أن تشمل كل الولايات الإيطالية.

٢- إنشاء مملكة في نابولي لاختيه "جوزيف بونابرت" وأخرى في طوسكانيا وتحكمها اخته "ليزا".

ومع أن هذه التغييرات فسحت المجال لبدء نظام جديد فإنها لم تكون وحدة سياسية بل أدت إلى ضرب الحضارة الإيطالية بشكل مؤثر.

ولكن ذلك لم يستمر طويلاً فبعد رحيل بونابرت نجح النمساويون في هدم ما شيدوه الفرنسيون وقمع حركات التمرد التي قامت ضدهم، ولما كان على الايطاليين التخلص من هذه المعوقات فقد اضطروا إلى تكوين الجمعيات السرية، كما بدأ يظهر من بينهم من يدافع عن

وحدة إيطاليا واستقلالها وكان ضمن هؤلاء ثلاثة من رجال إيطاليا، أحدهم ماتزيني روح هذه الحركة، وكان ثانيهم كافور مفكرها السياسى وعقلها المدبر، أما ثالثهم فهو غاريبالدى ساعدها القوى.

وفيما يلى سنوضح نشأة كل منهم وورثه فى تمام الوحدة الإيطالية:-

أولاً: ماتزيني Mazzini

ولد ماتزيني فى مدينة جنوة فى عام ١٨٠٥ من أسرة برجوازية، فكان أبوه طبيباً مشهوراً و أمه من أسرة رفيعة الشأن، ودرس ماتزيني الحقوق فى جامعة جنوة، وحصل منها على الدكتوراه ثم أوقف نفسه لخدمة وطنه فانخرط فى العمل السياسى من أجل تحرير ووحدة إيطاليا، فكان من أبرز رواد هذه الحركة.

وقد أحسن ماتزيني بما يعانيه شعبه من فقر وشقاء، فأخذ يفكر فى الطريق التى تعيد لأبناء إيطاليا حقوقهم فى ظل حياة ديمقراطية سليمة، وعقد العزم على العمل من أجل قيام إيطاليا " حرة متحدة من الألب إلى المحيط" فانضم إلى جمعية " الكاربونارى" ^(١) التى تأسست للعمل من أجل وحدة إيطاليا وبدأ يحرض الإيطاليين على الصمود أمام النمساويين كما بدأ فى كتابة سلسلة من المقالات فى جريدة " دليل جنوة" وجريدة " دليل ليفورنه" مما أدى إلى غليان الأفكار، وانتشار روح الثورة ضد النمساويين، ونتيجة ذلك قبض عليه بتهمة التآمر، والقى فى السجن لمدة ستة أشهر، ثم حكم عليه بمغادرة جنوة فذهب إلى مرسيليا ووضع تحت المراقبة، وخلال ذلك أخذ يفكر ملياً فيما يحدث لبلاده، وساقه ذلك إلى التنبه إلى ضرورة الارتكاز على الشعب الذى هو عماد كل حرية قومية.

ومن أجل ذلك أسس جمعية " إيطاليا الفتاة" فى عام ١٨٣١ بهدف العمل على تحرير إيطاليا من نير الحكم النمساوى واستقلالها ووحدتها، وقد استحوذت هذه الجمعية على افئدة وعقول الشباب الإيطالى، وقد استطاع ما تزيني عن طريق هذه الجمعية التى كانت لا تضم رجالاً منهم دون الأربعين تولى زعامة الحركة القومية الثورية فى إيطاليا وأن يصل بتعاليمه

^(١) هى جمعية الفحاميين، وكان روحها مزيج من الصوفية المسيحية والاشتراكية. وقد قال أحد رجالها إن المسيح كان أول ضحايا الطغاة ونظراً لطابع هذه الجمعية السرى فقد تم تقسيمها إلى جماعات ذات اختلافات متعددة فى المفاهيم السياسية.

إلى قلوب الناس وعقولهم حتى استجاب العديد منهم لمبادئه، وازداد عدد أعضاء الجمعية فى مدى عامين إلى ستين ألفا.

وقد نجحت الجمعية فى نشر المبادئ الحرة بين الشعب الايطالى بصورة نشطة، وفى اثارة الحماسة بين صفوفه واقتناعه بأن الثورة العنيفة هى السبيل الوحيد لانقاذ ايطاليا وقد اثر عن مازينى قوله " ان الأفكار تنمو سراعاً اذا ما روتها دماء الشهداء" كما أنه كان يعتقد أنه بإمكان البشر تحسين أحوالهم إذا ما ساروا على هدى مثل عليا، وعلى هدى عقيدة تعلمهم الرغبة فى التضحية وكان متفانلاً يثق بالنصر القريب لمثله الأعلى فى العدل والاصلاح ومن هنا كانت تأثيره عمقا فى الأخلاق الايطالية وفى نمو الوجدان القومى الايطالى ومن أجل ذلك ناشد الايطاليين السير على مبادئه لتوجيه ضربة قوية إلى الامبراطورية النمساوية التى كان وجودها فى ايطاليا عاراً على الايطاليين ورمزاً للجمود والسلبية، وإلى الحكم البابوى السذى طالما وقف حجر عثرة أمام وحدة ايطاليا.

وعلى كل حال فقد اكسبت اعمال القمع والوحشية التى اتبعتها المستشارة النمساوى "مترنيخ" الكثير من الانتصار "لماتزىنى" وجميعته واشتعلت نفوس الناس حقدا وكرهينة ضد النمساويين وسياسة "مترنيخ" وقد وضع الشاعر الانجليزى " روبرت براوننج" أحاسيس الشعب الايطالى تجاه النمسا ومستشارها بقوله على لسان أحد الايطاليين " إذا كان لى أن أحقق لنفسى رغبات ثلاث فإنى اعرف على الأقل منها واحدة فأرانى ممسكا بمترنيخ حتى أحس بالدماء تقطر حمراء من عنقه البلبيل بين يذى هاتين".

ولقد رأى ماتزىنى فى نهاية عام ١٨٤٧ ضرورة استئثار النمسا حتى يزداد تدخلها فى شئون ايطاليا مما يحفز همة الايطاليين على الثورة ضدها وقد شاعت الاقذار أن انتخب فى تلك الفترة لمنصب البابوية "البابا بيوس التاسع" وهو من البابوات المشهود لهم بالوطنية وكرهيته لاساليب البوليس النمساوى واحكام الاعدام والنفى والسجن مما دفع الأمانى القومية لدى الايطاليين دفعة كبيرة إلى الأمام حيث راح الناس يستبشرون فى حماس شديد له، خصوصا وأنه أعلن العفو عن المسجونيين والمشبوهين والسياسيين^(١) وخففت من قيود الصحافة كما عدل من طابع الحكومة الاستبدادى الكئسمى غير أنه لم يكن يدرك ما تقتضيه متطلبات ايطاليا خاصة وأنه لم يكن ضليعا فى السياسة ولم يكن يدرك ما يحيط به من أخطار

(١) جرائد: المرجع السابق، ص ٣٢٥.

كما أنه لم يكن من طبيعته حب الثورة أو الميل إليها وإنما كانت نزعته هادئة كذلك فلا عجب من أن ينسحب هذا البابا من الميدان.

ونتيجة لأفكار ماتزيني حول الوحدة والاستقلال تهيأت أفكار الإيطاليين للثورة ضد النمساويين وتشيع العديد منهم بمبادئ جمعية إيطاليا الفتاة، كما أصبح أفراد الطبقة الوسطى من المجتمع الإيطالي يؤيدون قيام الوحدة وفي ١٢ يناير ١٨٤٨ أعلنت الثورة في "بالرمو" حتى وافق حاكمها على إعلان الدستور، وعلى غرار ذلك تأثرت إيطاليا كلها بهذا النصر وتشجعت على إعلان الثورة ومع النجاح الذي تم فإن مستقبل إيطاليا كله كان متوقفا على التخلص من الحكم النمساوي في شمال شبه الجزيرة ولذلك كان مصير إيطاليا متوقفا على بيدمنت مركز مملكة سردينيا، وفي لمبارديا حيث كانت النمسا تتمتع بنفوذ كبير، وحيث كان السكان يتطلعون إلى التخلص من حكمها الجائر^(١)

كما اتجهت الأنظار نحو شارل البرت Charles Albert ملك سردينيا الذي اقتربت أفكاره من أفكار ماتزيني بصورة واضحة خاصة بعد أن أرسل له ماتزيني رسالة باسم الإيطاليين يوضح له فيها مفهومه لإيطاليا الحرة، ويناشده أن يصغي لصوت إيطاليا ويطالبه بأن يضع نفسه على رأس هذه الأمة وأن يضع على العلم الإيطالي كلمات اتحاد، حرية، واستقلال وأن يحمي إيطاليا من البرابرة. وقد أخذ الملك على عاتقه تخليص إيطاليا من الحكم النمساوي كما أنه منح شعبه دستورا في ٨ فبراير ١٨٤٨م، وفي ميلان امتد تيار الثورة وحدثت اشتباكات بين المتظاهرين والجنود النمساويين انتهت بانتصار الثوار وطرده النمساويين في ميلان وامتد أثر ذلك إلى "بارما" و "مودينا" فسقط فيها الحكم النمساوي كما قامت أعنف الثورات على النمسا في البندقية مما أدى إلى اشتداد غضب النمسا ورغبتها في الانتقام من الثوار واخضاعهم ولما كان من المتعذر على أهالي "ميلان" و"البندقية" و"لمبارديا" مواجهة النمساويين بمفردهم فقد اتجهت أنظارهم إلى شارل البرت الذي استجاب لندائهم ولكن تفوق للقوات النمساوية كان واضحا حيث أن القوات الإيطالية لم تكن كاملة التنظيم أو جاهزة

(١) زينب راشد: تاريخ أوروبا في القرن التاسع عشر، ص ٣٤١ - ٣٤٢.

للمعركة كما أن الخلاف انتشر في صفوف الايطاليين واشتد الصراع بين الملكيين والجمهوريين، وقصد ماتزيني إلى ميلان بغرض توجيه الحركة لصالح الجمهورية كل هذا أدى إلى هزيمة الايطاليين ودخول القوات النمساوية إلى ميلان والقضاء على حركتهم، كما أن الملك شارل أعلن عن تنازله عن العرش لابنه فيكتور عما نويل الثانى ومع ذلك فإن تيار الثورة امتد إلى روما والبنديقية، ففى روما انتشرت الفوضى بعد فرار البابا منها، وانتهى الأمر بقيام الجمهورية على يد الحزب الجمهورى الذى ترعاه "ماتزيني"، ولكن كان واضحا أن هذه الجمهورية لم تعمر طويلا حيث أن فرنسا ناصرت البابا وأرسلت جيشا استطاع القضاء على مركز الجمهوريين فى أوروبا وإعادة البابا إلى مركزه.

أما فى البنديقية فقد اقيم فيها حكم جمهورى وظلت تقاوم النمسا حتى هزمت هزيمة فادحة عادت إلى أثرها إلى الحكم النمساوى من جديد.^(١)

ثانيا: كافور Cavour ١٨١٠ - ١٨٦١:

ولد كافور فى منطقة تورينو من عائلة ارسقراطية كانت تمتلك الأراضى، والتحق على عادة أبناء العائلات بالمدارس العسكرية، وعمل فى الجيش برتبة ضابط ثم هجره لإدارة مزارعه ولاشباع رغبته فى التنقل والاسفار فسافر إلى فرنسا وبريطانيا ودرس أصول الحياة السياسية هناك، وتعرف على بعض كبار الساسة ودعاة النظم البرلمانية مما اكسبه النضج السياسى والعديد من الخبرات والتجارب التى أهلته لتحمل مسئوليات الحكم فى بلاده، وجعلته من أبرز ساسة القرن التاسع عشر.

وعن دوره فى الوحدة الإيطالية فقد شعر كافور منذ صباه بأن السبب فى محنة إيطاليا هو تقسيمها ونتيجة لذلك رأى أن بعث بلاده لا يتم الا بوحدها وأنه من الصعب تحقيق هذه الوحدة، واخراج بلاده من الوحل دون الاستعانة بقوة خارجية لذلك رأى وجوب الاستعانة بفرنسا لطرد النمسا من إيطاليا، وكانت هذه هى النقطة الاساسية فى سياسته فى سبيل توحيد إيطاليا وفى تلك الفترة أظهر "فيكتور عمانويل" عزمه أكيدا على تحرير إيطاليا وتخلصها من

(١) نفسه، ص ٣٤٤-٣٤٦.

الحكم النمساوى ولاشك أن اسم "كافور" و"فيكتور عمانويل" سيبقيان خالدين كرمز للكفاح فى سبيل الوحدة الإيطالية.

لقد عمل كافور منذ أن وصل إلى كرسى الحكم فى "بيدمنت" على تشييد البنيان الداخلى لبلاده وبث روح الحرية فيها حتى تصبح نموذجا لغيرها من الولايات، وعمل على تنظيم الاقتصاد والأمر العامة، كما عمل على الحد من امتيازات الكنيسة فقام بتخفيض إيرادات الأوقاف الكنسية والدخل الكبير لكبار رجال الكنيسة واغلاق أكثر من ثلثمائة دير، وحد من سيطرة الكنيسة عن شئون التعليم كما أقر برلمان تورين التشريع الخاص بالزواج المدنى رغم معارضة الفاتيكان وإلى جانب ذلك اهتمت حكومة كافور بالسكك الحديدية والعناية بالجيش والاسطول وتدريبه على احدث النظم حتى يستطيع مواجهة النمساويين فى الوقت المناسب كما اشتهر كافور بأرائه الديمقراطية واخلاصه لقضية إيطاليا، وكان هو وماتزىنى يتحdan فى الهدف وهو تحرير إيطاليا ووحدها الا أنهما اختلفا فى كثير من الأمور فقد كان "كافور" عمليا فى سياسته فأدرك أن إيطاليا لن تستطيع وحدها الوصول إلى هدفها بدون مساعدة دولة أخرى، وأنها لو تولت أمرها بنفسها فلن تبلغ هدفها المنشود كما كان يرى أن الحماسة وحدها ليست كفيلا بتحقيق الهدف بينما كان "ماتزىنى" يرى عكس ذلك.

سعى كافور إلى عقد محالفة مع فرنسا وبريطانيا لاكتساب عطف الراى العام فيها على قضية بلاده، ولما كان يعلم بعطف نابليون الثالث على قضايا إيطاليا القومية، وأن فرنسا كانت واحة الأمل الذى يمكن الاعتماد على تأييدها فقد تودد إليه ثم قابل كافور الامبراطور الفرنسى فى "بلومبير Plombieres بشرق فرنسا عام ١٨٥٨ ونجح فى الحصول على تعهد منه بمساعدة سردينيا فى حربها ضد النمسا على شرط أن تبدأ النمسا بالعدوان، نظير أن يعطى كافور لفرنسا "سافوى" و"نيس" من أملاك "بيدمنت" عند نجاحها فى الحرب.

وإلى جانب ذلك عمل كافور على طرح القضية الإيطالية على بساط البحث بين الدول الكبرى، كما عمل على لفت أنظار العالم إلى مشكلات بلاده ليحصل على التأييد المطلوب مستغلا فى ذلك انعقاد أى مؤتمر دولى لعرض قضية بلاده عليه وقد نجح فى ذلك إلى حد ما، وعلى الرغم من أن الراى العام البريطانى تعاطف مع القضية الإيطالية وأعلن عن رغبته فى تحرير إيطاليا من الحكم النمساوى، فإن كافور لم يستطع الحصول على عون الحكومة

الانجليزية التي كانت تعمل على ان يكون الخط الرئيسى فى سياستها الخارجية هو المحافظة على استمرار السلام والاستقرار فى أوروبا.

وإلى جانب ذلك فإن روسيا لم تنظر إلى القضية الإيطالية إلا من خلال مصالحها التي كانت تتمثل فى التمسك بمقررات مؤتمر فينا لأنها أفضل السبل للمحافظة على الأوضاع فى أوروبا من وجهة نظرها.

ونتيجة لذلك لم يجد كافور مساندة من الدول الكبرى سوى من فرنسا ونظرا لأن فرنسا اشترطت لتدخلها ظهور النمسا بمظهر المعتدى حتى تستطيع أن تبرر موقفها أمام الدول الأوروبية فقد حاول كافور استغزاز النمسا وذلك بإثارة القلاقل على مناطق الحدود معها كما أوحى إلى الصحف أن تشن حملة على الحكومة النمساوية حتى يثير غضبها فتضطر إلى استعمال القوة، وتتمكن فرنسا من الوفاء بوعدها بالتدخل بحجة الدفاع عن صديقتها سردينيا.

ولما وجهت النمسا انذارا إلى سردينيا يقضى بتسريح جيشها ونزع سلاحه فبمدة لا تزيد عن ثلاثة أيام رفض كافور الانذار مما أدى إلى اعلان النمسا الحرب رسميا على إيطاليا فى ٢٦ من ابريل ١٨٥٩م، وتقدم قواتها نحو سهول إيطاليا الشمالية، ولم تتردد فرنسا فى مساعدة حليفتها سردينيا فأرسلت جيشا مكونا من ١١٥ ألف جندي، نجح فى هزيمة النمساويين فى معركة "ماجنتا" Magenta فى ٤ يونيو، وسولفرينو Solferino فى ٢٤ يونيو ١٨٥٩ وطردهم من لمبارديا مما ساعد على انفتاح الطريق أمام البندقية، ولما انكشف ضعف النمسا، وعدم قدرتها على خوض الحرب أنهى نابليون الثالث الحرب فجأة والتقى مع امبراطور النمسا فى فلافرانكا Villafranca واتفق معه على عقد الهدنة دون استشارة بيدمونت واشترط تنازل النمسا عن مقاطعة "لمبارديا" لمملكة سردينيا على ان تحتفظ لنفسها بالبندقية وقد عرف هذا الصلح بصلح زيورخ ١٨٥٩ وهكذا طعن الامبراطور الفرنسى الإيطاليين فى آمالهم وتخلي عنهم فى وقت كانوا فى أشد الحاجة إليه مما جعل الإيطاليين يتهمونه بالخيانة، وقد رأى كافور ضرورة الاستمرار فى القتال بدون فرنسا، ولكن ملك سردينيا رفض هذه الفكرة مما اضطر كافور إلى الاستقالة بعد أن تبخرت آماله فى ترقيع عرش ملك سردينيا على عرش يشمل شمال إيطاليا كله.

والسؤال المطروح هو لماذا طعن "نابليون الثالث" الإيطاليين فى آمالهم وتوقف فجأة عن القتال بالرغم من انتصارات قواته المتلاحقة؟

الواقع أن المؤرخين يختلفون في سبب ذلك فيرجح بعضهم هذا الأمر إلى الظروف الدولية، ويرجح بعضهم السبب إلى أن ابتعاد خطوط مواصلات الجنود الفرنسيين عن بلادهم هو الذي دفع نابليون الثالث إلى إيقاف الحرب، ويرى بعض ثالث أن كثرة عدد القتلى في المعارك هو الذي جعل الامبراطور الفرنسي يأمر بإيقاف القتال تاركا أعداءه يتراجعون دون الأجهزة عليهم ويقوم بتوقيع الهدنة مع الامبراطور النمساوي وهناك رأى آخر وهو الذي نعتبره أقرب إلى الواقع وهو أن الامبراطور الفرنسي رأى في استكمال إيطاليا لوحدها خطرا على البابوية وتهديدا لسلطانها وهو الأمر الذي رفضه نابليون الثالث.

وعلى كل حال فهما يكن من شيء ينسب إلى تخلي نابليون عن الإيطاليين فإن مساهمته في تحرير لمبارديا وضمها إلى مملكة بيدمنت إنما كان خطوة هامة في سبيل وصول إيطاليا إلى تحقيق وحدتها خصوصا وأن الإمارات الشمالية الصغرى من وسط إيطاليا أعلنت عن رفضها لصالح زيورخ ونيتها للانضمام إلى مملكة "بيدمنت"، كما أن بعض الولايات الأخرى اجتاحتها موجة من الحماس، وأعربت عن رغبتها في الانضمام إلى مملكة بيدمنت، ومع أن هذه المحاولات قد أثارت سخط النمسا، فقد حاول "كافور" وهو خارج الحكم الحصول على تأييد إنجلترا الدبلوماسي باتحاد بعض الإمارات مع بيدمنت وقد نجح في ذلك حيث أصدرت الحكومة الإنجليزية العديد من التصريحات التي تدعو إلى ترك الحرية للإيطاليين لتقرير مصيرهم كما أن فرنسا لم تمنع في انضمام إمارات وسط إيطاليا إلى "بيدمنت" بشرط استفتاء الأهالي فيما إذا كانوا يرغبون في تحقيق وحدتهم مع "بيدمنت"، وفي ذلك الوقت عاد "كافور" إلى رئاسة الوزارة في "بيدمنت"، وأجريت عملية الاستفتاء التي اقترحتها فرنسا كشرط لموافقتها على انضمام ولايات وسط إيطاليا إلى "بيدمنت"، وأسفرت عن رغبة أهالي هذه الولايات في الانضمام إلى "بيدمنت".

ولم تتوقف مساعي كافور في سبيل تحرير إيطاليا كلها من نفوذ النمسا والحصول على تأييد نابليون الثالث في ضم صقلية وجنوب إيطاليا إلى بلاده، وواتته الفرصة عندما قام الثائرون في هذه المناطق بدعوة "غاريبالدي" وجماعة إيطاليا الفتاة لمساندتهم فنزلت قواته من نوى القمصان الحمراء في مايو ١٨٦٠ إلى صقلية وأقاموا فيها حكومة مؤقتة انضم إليها الأهالي كما عبرت هذه القوات مضيق "مسينا"، واستولت على "نابولي"، ووضعت العالم أمام الأمر الواقع، ونتيجة لتوتر العلاقات بين نابليون الثالث وبابا روما فكر الامبراطور الفرنسي

فى سحب الحامية الفرنسية من روما ولكن البابا عارض هذه الفكرة بحجة حاجته الشديدة إلى تلك القوات ثم اضطر فى النهاية إلى الموافقة.^(١)

ثالثا: غاريبالدى Garibaldi

كان "غاريبالدى" أحد أعضاء جمعية إيطاليا الفتاة البارزين وكان زعيما حماسيا، وقائدا للجنود غير النظاميين، كون جماعة القمصان الحمر، واشتهر بتطرفه فى وطنيته وتعصبه القومى ومناوأة الكاثوليكية ورغبته فى أن يجعل من بلاده جمهورية مستقلة وقد عاد إلى إيطاليا هو واتباعه بعد حياة النفى المليئة بالمخاطر فى أمريكا الجنوبية، وقد بشر بانجيل جديد وهو عبارة عن نسخة من افكار روسو فى التبشير، وانشأ عوضا عن "صدقة القديس بطرس"، "صدقة الحرية" وكان يجمع الصدقات ليشتري بها اسلحة تساعد على القيام بحملة عسكرية على روما.

ويرجع إليه الفضل فى الاستيلاء على صقلية بعد أن اتصل به "كرسبى" أحد الجمهوريين بصقلية وطلب منه المعاونة فى ضمها إلى مملكة سردينيا. كما يرجع إليه الفضل أيضا فى الاستيلاء على نابلى.

ولما أعلن "غاريبالدى" متابعته للزحف على الأملاك البابوية خشى كافور من مغبة فقدان عطف الكاثوليك فطلب من الامبراطور نابليون الثالث العون والمساعدة حتى يتم لقوات سردينيا التحرك داخل الأراضي البابوية بحجة القضاء على الشغب هناك فسمح له الامبراطور الفرنسى بذلك شريطة الانتهاء منه باقصى سرعة، وقد تم لكافور ما أراد، والتقى غاريبالدى بالقوات السردينية ورحب بها ووافق على المناداة بالملك "فيكتور عمانويل" ملكا على إيطاليا كلها، وبذلك انضم الجنوب إلى الشمال فى ظل حكم فيكتور عمانويل.

وهكذا نجح الإيطاليون بفضل حنكة كافور من تحرير القسم الأكبر من بلادهم، ولكن بقيت روما والبندقية بعينيتين عن السيادة الإيطالية فكانت البندقية تحت سيادة النمسا وروما تحت السيادة البابوية المحمية بقوات فرنسا.

(١) زينب راشد، المرجع السابق، ص ٣٥٥-٣٥٧.

ولما كان ضم البندقية وروما أمرا يتوقف على الموقف الدولي في أوروبا لأن ضم البندقية يلزمه ضرورة هزيمة النمسا في أوروبا، وضم روما يلزمه تغيير جذري في السياسة الفرنسية فقد نجحت إيطاليا في ضم البندقية بعد تحالفها مع بروسيا ضد النمسا في عام ١٨٦٦ وتقديم العون العسكري لها في نظير حصولها على البندقية في حالة انتصارها على النمسا، ولما تحقق ذلك في معركة "مادوا" نجحت إيطاليا في ضم البندقية أما عن روما فانه بهزيمة فرنسا في الحرب السبعينية مع بروسيا في عام ١٨٧٠ تم سحب الحماية الفرنسية من روما وبذلك أصبحت الفرصة المواتية لضمها واتخاذها عاصمة لإيطاليا.

وقد كتب فكتور عمانويل إلى البابا يطالبه بالانضمام إلى الوحدة مع إبقاء سلطته داخل حدود الفاتيكان فعرض عليه " قانون الضمانات" الذي يتيح له الاحتفاظ بوضع خاص ولكنه لم يقبل، واعتبر نفسه سجيناً في الفاتيكان وحكم بالحرمان على كل من يساند السلطة الزمته مما جعل إيطاليا تعاني مشكلة النزاع بين الحكومة والكنيسة، مما دفع عمانويل على الالتجاء إلى القوة، وفي ٢٠ سبتمبر استطاعت القوات الإيطالية الوصول إلى روما، وبادر سكانها بإعلان انضمامهم إلى حكومة "فكتور عمانويل" في ٢ أكتوبر ١٨٧٠، وزالت بذلك أكبر عقبة في طريق الوحدة التي كانت أساس الحركة الاستقلالية في إيطاليا، وظل البابا على موقفه الرفض حتى عام ١٩٢٩ حيث تم عقد اتفاقية "لاتران" في عهد الحكومة الفاشية والتي أعطت للبابا أرضاً صغيرة داخل روما يكون له فيها السيادة، كما اعتبرت شخصه مقدس، وله الحق في استقبال الغراء الأجانب والمراسلة بحرية مع أساقفه العالم، وأن يكون له دخل مستوى.

وهكذا كان "ماتزيني" و"كافور" و"غاريبالدي" الدور المؤثر والفعال في قيام "الوحدة الإيطالية" لدرجة قال عنها الزعيم الهندي "نهر" لو تأخر أحدهم عن الظهور في حينه لربما تأخرت الوحدة بعض الوقت.

لقد نجح ماتزيني في اضرام الحماس الروحي لدى الإيطاليين ونجح غاريبالدي في قيادة المدافعين كما نجح كافور في أنكاء الايمان السياسي في ضلوع الإيطاليين.

حقيقة لقد اختلف هؤلاء الثلاثة حول الطريق الموصل للوحدة والاستقلال فقد كان ماتزيني يحلم بدنيا جديدة فلم يقدم له كافور سوى الدنيا القديمة ذاتها في شكل جديد، وكان غاريبالدي يحلم بنظام جمهوري فتمت له الملكية في ثوب قشيب، ومع ذلك فقد أوصلتهم وحدة الهدف إلى غايتهم المنشودة فتحقق لإيطاليا وحدتها واستقلالها.

وعلى كل حال فإن بزوغ هذا الكيان السياسى الجديد كان ينقصه العديد من مصادر القوة، فقد كانت إيطاليا فى ذلك الوقت تفتقر إلى المصادر الاقتصادية الكافية خصوصا من ناحية الثروة المعدنية مثل الفحم، وكذلك من ناحية الانتاج الزراعى الذى لم يكن يتناسب مع معدلات الزيادة السكانية فى إيطاليا.

وإلى جانب ذلك فإنه على الرغم من قيام الوحدة السياسية بين اجزاء إيطاليا فإن سكانها لم يتمكنوا من اقامة وحدة قوية حقيقية وذلك بسبب الخلافات والتناقضات القومية بين العديد من القطاعات فى إيطاليا وقد أوضح ذلك أحد الزعماء السياسيين الايطاليين بقوله " بعد أن تمت وحدة إيطاليابقى أن تتم وحدة الشعب الايطالى".

ونتيجة لكل ذلك قطعت إيطاليا شوطا طويلا فى اصلاح حالتها الاقتصادية، كما وسعت حركتها التجارية وبذلت جهودا كبيرة لاصلاح أسطولها التجارى ورغم كل ذلك فقد كان أمام إيطاليا شوطا طويلا فى مجال التقدم الاقتصادى كما ظلت المشكلة الاقتصادية من أخطر المشاكل التى تعاقبت الحكومات الايطالية على محاولة علاجها. يضاف إلى هذه قضية الصراع الحزبى فى إيطاليا وخصوصا بين الاتجاهات اليمينية والاتجاهات اليسارية. ولأول مرة منذ الوحدة الايطالية نجح اليسار الايطالى فى الحصول على أغلبية فى انتخابات عام ١٨٧٦م، ومنذ ذلك الوقت ولعشرين سنة تالية ظل اليسار باستثناء فترات بسيطة هو المسيطر على الحكم فى إيطاليا.

أما عن مصادر الدخل لإيطاليا فإنها كانت تركز على مصدرين أساسيين الأول وهو المهاجرون الايطاليون، فمئات الألوف من الايطاليين كانوا فى الخارج يرسلون إلى ذويهم المساعدات المالية والثانى كان السياحة من أوروبا وأمريكا خاصة وأن إيطاليا كانت ومازالت مركزا سياحيا هاما بسبب آثارها الفنية ووجود البابوية فيها، وعلى الرغم من ذلك فقد استبر العجز فى ميزانية الحكومة الايطالية الامر الذى دفع إيطاليا إلى الخروج للمجال الاستعمارى وقد اتجهت المحاولة الأولى للتوسع نحو تونس، ولكن فرنسا اسرعت إلى احتلال تونس مما أثار حفيظة الايطاليين ضد فرنسا، وظلت العلاقات متوترة بين البلدين بعد هذا الحادث ما يقرب من عشرين عاما، وساد الاعتقاد بعد ذلك أن إيطاليا لم تستمكن من الحصول على مستعمرات إلا إذا ارتبطت بتحالف دولى قوى، وقد جر هذا التفكير إيطاليا إلى الاشتراك فى التحالف الثماتى الالمانى النمساوى ونتيجة لفشل خطط إيطاليا التوسعية فى شمال أفريقية بدأت

تتحرك صوب شرق افريقية، فاستولت الشركة الإيطالية البحرية على "عصب" فى عام ١٨٨٥، كما احتل الإيطاليون "مصوع" وأسسوا مستعمرة الصومال وتحالفوا مع الأديسى فى صير، ثم حاولوا الاستيلاء على الحبشة، وعلى الرغم من هزيمة الجيش الإيطالى من موقعة "توجالى" إلا أن إيطاليا نجحت فى عقد معاهدة مع أحد زعماء القبائل الحبشية وهو "منيليك" لمساعدتها فى الوصول إلى عرش الحبشة، واطلق على هذه المعاهدة معاهدة "أوتشيانى" ولكن "منيليك" سرعان ما نقض المعاهدة بعد أن اتضح له أن النص الإيطالى لها كان مخالفا للنص الحبشى ونتيجة لذلك أعلنت إيطاليا أنها تتوى فرض حمايتها على الحبشة، وفى عام ١٨٩٥ بدأت طلائع الجيوش الإيطالية تزحف على الحبشة، ولكن فى أوائل ١٨٩٦ أصيبت الجيوش الإيطالية بهزيمة ساحقة فى "عدوة"، وهى المعركة التى خسر فيها الإيطاليون حوالى خمسة آلاف قتيل وأسر منهم حوالى ألفين، واضطرت إيطاليا إلى أن تدفع للحبشة تعويضا ماليا وأن تعترف باستقلالها، مما كان له أكبر الأثر على الحياة السياسية فى إيطاليا وكان بمثابة المنبه الذى نبه جماعة الاستعماريين الإيطاليين إلى الامكانيات الحقيقية للتوسع الاستعماري الإيطالى وحدد بالتالى مكانة إيطاليا فى العلاقات الدولية تلك العلاقات التى تحدد دورها ابان الحرب العالمية الأولى حيث أعلنت إيطاليا الحياد فى بادئ الأمر، ثم دخلت الحرب ضد النمسا - المجر وهذه الحرب ساعدتها على تحقيق تطلعاتها القومية فى الاردياتيك، كما حققت للقومية الإيطالية تطلعاتها نحو الشمال والشمال الشرقى وأعطت لإيطاليا مناطق ماهرة بمحاولات غير إيطالية.

